

دوروثي هيثكوت... مساهمات أصيلة ومتجددة في حقل الدراما في التعليم

«في هذا الملف، خمس مواد من تأليف دوروثي هيثكوت وإنتاجها؛ الرائدة في مجال الدراما في التعليم في العالم، وقد تجاوزت الثمانين، وما زالت في أوج عطائها وإنتاجها». هذا ما قدمت له حين كنا نحضر ملفاً جديداً في توظيف الدراما في التعليم، وكنا ارتأينا أن نخصص هذا الملف لمساهمات لهيثكوت من مراحل مختلفة من حياتها، وبخاصة السنوات الأخيرة... ففيها بعض خلاصات تجربة امتدت إلى أكثر من ستين عاماً. وقد ترافق مع تحضيراتنا أخبار تتحدث عن تراجع وضعها الصحي، وعلى الرغم من ذلك فقد كانت تعمل. لقد عملت وأنتجت حتى أيامها الأخيرة. وفي الثامن من تشرين الأول في العام 2011 جاء خبر وفاتها.

مركبة تمكّن طلبته من الاستكشاف والتعبير في ما لاحد له. وفي كل الأحوال؛ فسواء أكانت الأعراف هي الإستراتيجيات الدرامية، أم كانت هي الأدوار المؤسسة على المسرح، فهي مفيدة في الاستكشاف الدرامي فقط حين يكون توظيفها قد تم سياقياً وكان منتجاً للمعنى. وهي في كل الأحوال أيضاً من إنجازات هيثكوت سواء استنبطت من عملها أو كما فهمت من كتاباتها.

يتضمن الملف أيضاً مادة تعكس مستويات مختلفة من التعامل مع مادة دراسية، وتوضح لنا المقالة بالأمثلة مستويات التحدي التعليمي الممكن التحقق لدى التلاميذ ابتداءً من أمثلة مسطحة تماماً وتلقينية إلى أمثلة على حافة الاستكشاف الدرامي، إلى أمثلة تتعمق في التوظيف الدرامي. كما يتضمن الملف مادتين مهمتين لكل المعلمين الذين يشتغلون في تعليم الدراما أو توظيفها في التعليم، وهما مادتان متصلتان بشحن الدراما وتماسكها؛ فالمادة الأولى تتناول أنواع التوتر الممكن توظيفه لبناء الدراما وأمثلة عليه، والثانية تتناول موضوع التماسك الداخلي للعمل، وهي مهمة لأن هناك عملاً ينبغي ترابط حلقاته، بحيث تفضي كل حلقة إلى التي تليها ضمن بنية تفاعلية مركبة ودالة، فلا يبقى العمل مجرد أساليب وتقنيات أو إستراتيجيات لا صلة عميقة ومتسلسلة فيما بينها. إن هذه المقالات الخمس تمكن معلمي الدراما من إعادة ترتيب منظوراتهم وتعميقها، وفهم ما أتجوه سابقاً بعد جديد، كما تسمح لهم بتطوير فهم وممارسة مستقبلين أيضاً.

وفي الوقت نفسه، فإننا نكرس هذا الملف كعرفان وتقدير لهذه المرأة، وما قدمته من مساهمات نوعية للتعليم الإنساني في شتى أرجاء المعمورة. و.

في حزيران الماضي، تسنت الفرصة لمجموعة من معلمات ومعلمين من فلسطين للعمل معها لنهار، وقد جاء ترتيب هذا اللقاء ضمن برنامج تبادل المعلمين الذي شرع فيه مركز القطان للبحث والتطوير التربوي العام الماضي بمشاركة معلمين من بريطانيا ومعلمين من فلسطين يشتغلون على أحد أهم التوجهات في توظيف الدراما في التعليم إلا وهو «عباءة الخبير»، وهو توجه تعليمي ابتكرته هيثكوت وطورته واستمرت في تطويره وتعميقه وتفصيله بالإضافة إليه بمستويات مختلفة، وفي محاور متعددة، إلى أن قضت، وقد عملت مع معلمينا على هذا التوجه، وستجدون في الملف جزءاً من وقائع هذا اليوم. إن المقالات الواردة في الملف أنتجت جميعها في السنوات الأخيرة، أما المادة المعنونة بعلامات ومنبئات فهي خاصة بالأعراف الدرامية المبنية على أسس المسرح، وكانت هيثكوت قد نشرتها منذ أزيد من ثلاثة عقود. وهي أعراف تشتغل على الفعل الدرامي ضمن سياقات مفصلة، وهي تحتاج إلى تأمل عميق وتجريب متواصل كي يتمكن المرء من فهمها وفهم مغازيها وآليات عملها، وهي لا تقع في منطقة التعارض مع الأعراف الدرامية التي استنبطها جونثان نيلاند من عمل هيثكوت أيضاً، وهي ما يستعمله معظم المعلمين الذين يوظفون الدراما في التعليم في العالم، وبخاصة أولئك الذين لا خبرة مسرحية عميقة لديهم، وهي ما باتت تسمى بإستراتيجيات وأساليب مسرحية للتمييز بينها وبين الأعراف الدرامية الواردة في هذا الملف على الرغم من أن الكثيرين من المعلمين في العالم ما زالوا يسمونها بالاسم نفسه «الأعراف». إن الإشكالية الأساسية تقوم على التوظيف المسطح للأعراف أو الإستراتيجيات، أو التوظيف المعقق، وهذه مسألة ترتبط بكل معلم على حدة، وعلى ما يجربه ويختبره ويرتقي به في عمله، حيث يمكن لكل معلم أن ينهل من هذه المقاربات الدرامية ما يغذي تجربته التعليمية ويسهم في خلق سياقات استكشاف